تمثل الجانحين للمال وعلاقته بالجريمة
–السرقة نموذجا–

نورالدين حبراوي
باحث بسلك الدكتوراه، جامعة محمد الخامس
المغرب

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى رصد التمثل الاجتماعي في علاقته بموضوع المال عند الجانحين، وما له من تأثير في سلوكهم، من خلال التعرف على الدور الذي تلعبه التمثلات الاجتماعية في توجيه سلوك الجانحين لارتكاب الجريمة بشكل عام وجنحة السرقة بشكل خاص، بالإضافة إلى التعرف على العناصر المركزية المشكلة لبنية تمثل المال عند الجانحين، فالتمثلات التي يحملها الأفراد تتداخل فيها عوامل سيكولوجية وسوسيولوجية وتضاف إليها عوامل ثقافية، لذلك يظل التمثل موضوعا محوريا بامتياز، يحتم أن تشمل الدراسات في هذا الصدد أوساط وسياقات مختلفة، باختلاف طبيعتها و نوعيتها، سواء المتعلقة بالسلوكات المقبولة أو الغير مقبولة اجتماعيا وقانونيا.

الكلمات المفتاحية: التمثلات الاجتماعية، تمثل المال، الجانحين، الجريمة، السرقة.

تمهيد:

قطع البحث في السوسيولوجيا مسارا طويلا للوقوف على فهم أعمق للظاهرة الاجتماعية، حيث تطورت المفاهيم والنظريات، بناء عليه أصبح من الضروري مواكبة هذا التطور عن طريق فحص هذه القضايا بالدراسة والتحليل. وبما أن الأفراد دائما في تفاعل، فإنهم يتبادلون أشكالا مختلفة من المعارف تجعلهم يحملون تصورات نحو العديد من الأشياء، ونحو غيرهم من الأفراد، وكذلك نحو أنفسهم والتي تختلف من فرد لآخر أو من جماعة إلى أخرى، كما تتشابه بين أفراد ينتمون لنفس الجماعة، حيث تبقى هذه التمثلات من بين المواضيع التي تهتم بها السوسيولوجيا، إذ هناك عدة نظريات منها من ينظر إلى التمثل كمحتوى، ومنها من ينظر إليه كبنية. وتحاول هذه الورقة أن تتناول موضوع التمثل الاجتماعي في علاقته بموضوع المال عند فئة اجتماعية وهي الجانحين وما له من تأثير في سلوكهم. ليبقى الهدف المعرفي الأساسي هو رصد العلاقة بين هذه المتغيرات.

أولا: الخطوات المنهجية

1. الإشكالية

يرتبط الفرد من خلال التمثل الاجتماعي بموضوع معين قد يكون حدثا أو شيئا ، ماديا أو نفسيا أو اجتماعيا، والفرد يبني مواقفه حول هذا الموضوع من خلال البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، وذلك عن طريق التنشئة الاجتماعية، لذلك فالأفراد يحملون تمثلات عن مختلف المواضيع ومن بين هؤلاء الأفراد هناك الأحداث الجانحين الذين يحملون تصورات و أراء حول مواضيع متعددة كالمال الذي يحاولون البحث عنه بطرق مختلفة تصل إلى طرق غير مقبولة اجتماعيا، ويعاقب عليها القانون، وبذلك يقوم هؤلاء بسلوكات جانحة، فمنهم من يعتبر المال رمز القوة ، ومنهم من يرى أنه أساس السعادة، و آخرون يعتبرونه رمز للحرية و العيش برفاهية، إلى غيرها من التمثلات.

وفي ضوء هذه المعطيات كان ضروريا أن تدور أسئلة البحث في نطاق العلاقة بين التمثلات الاجتماعية للمال عند الجانحين من جهة، وبين سلوك السرقة لديهم من جهة أخرى لتكون بذلك التساؤلات المشكلة لإشكالية البحث على النحو الآتي:

- ✓ ما هي العناصر المركزية المشكلة لبنية تمثل المال عند الجانحين؟
- ✓ كيف تؤثر تمثلات الجانحين للمال في توجيه سلوكهم لجنحة السرقة؟

2. الأهداف

يهدف هذا البحث إلى:

- ✓ التعرف على العناصر المركزية المشكلة لبنية تمثل المال عند الجانحين.
- ✓ إبراز التمثلات التي يحملها الجانحين حول المال على اعتبار أنها تتداخل فيها عوامل سيكولوجية وسوسيولوجية وتضاف إليها عوامل ثقافية.
- ✓ التعرف على الدور الذي تلعبه التمثلات الاجتماعية في توجيه سلوكات الجانحين لجنحة السرقة.

3. عينة البحث وأداته المنهجية

استهدف هذا البحث عددا محدودا من الأحداث الجانحين والذين تتراوح أعمارهم ما بين 12 و16 سنة والذين بلغ عددهم 150 مبحوث ومبحوثة والمتباينين على مستوى المتغيرات الاجتماعية (الجنس، السن، المستوى الدراسي، الانتماء الجغرافي)، ويكونون نزلاء بإحدى المؤسسات

الإصلاحية حيث تم اختيار العينة بطريقة عشوائية بسيطة، كما تجدر الإشارة إلى أنه استعملت التقنية الكمية (الاستمارة) لجمع المعطيات، نظرا لخصوصية موضوع الدراسة.

4. توزيع أفراد العينة حسب المتغيرات الاجتماعية

تستدعي مقاربة الموضوع وضوح المنهجية المعتمدة وأدواتها للتمكن من أدوات التحليل والتفسير، لذلك تم التركيز في هذا البحث على عدة متغيرات اجتماعية تسمح بدراسة الموضوع من الزوايا التي حددت في الإشكالية. إذ سلط الضوء على المتغيرات الاجتماعية المرتبطة بالسن، والجنس، والانتماء الجغرافي، والمستوى الدراسي.

جدول يبين أفراد العينة حسب المتغيرات الاجتماعية

المتغيرات	الفئات	التكرارات	النسبة المئوية
الفئة العمرية	[14-12]	60	40%
	[16-14]	90	60%
المجموع		150	% 100
الانتماء الجغرافي	الوسط الحضري	84	%56
	الوسط القروي	66	%44
المجموع		150	% 100

يتضح من خلال الجدول أن سن أفراد العينة موضوع الدراسة يتراوح بين 12 سنة كحد أدنى و16سنة كحد أقصى. إذ أغلبهم ينتمون إلى الفئة العمرية [14-16]بنسبة 60%، ونسبة% 40 تتراوح أعمارهم بين[12و14]. فيما يتعلق بالوسط الذي يعيش فيه أفراد العينة، يتضح أن نسبة 56% منهم ينتمون للوسط الحضري، في حين أن نسبة% 44 يعيشون بالوسط القروي، كما يتبين لنا أن نسبة72% من أفراد العينة تمثل الذكور بينما نسبة % 28تمثل الإناث، وهذا يبين لنا أن غالبية أفراد العينة ينتمون إلى فئة الذكور.

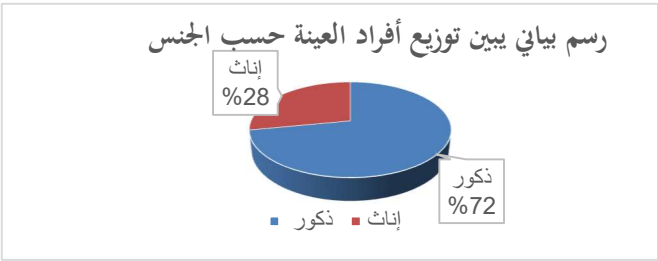

ونظرا لأن موضوع الدراسة يتعلق بالتمثلات الاجتماعية كان من الضروري الحديث عن المستوى الدراسي للأفراد، وهذا ما يوضحه الرسم البياني أسفله:

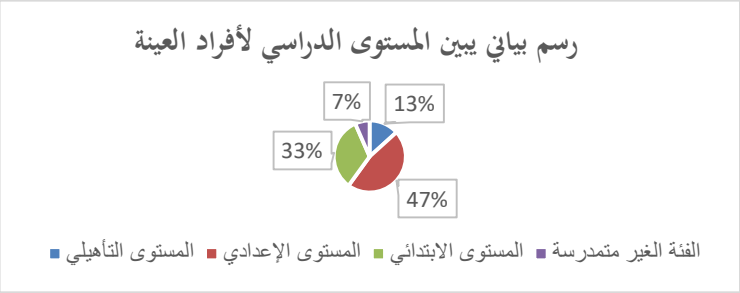

إن لكل فرد طريقته الخاصة في التصور، والتي يكون مصدرها إما محاكاة أشخاص، أو عن طريق التجربة الشخصية، حيث أن التمثلات التي يحملها تتداخل فيها عوامل سيكولوجية وسوسيولوجية وتضاف إليها عوامل ثقافية، وحتى الاقتصادية لذلك اعتبر متغير المستوى الدراسي مهما في هذه الورقة، حيث أن نسبة 47% من أفراد العينة مستواهم هو الإعدادي، كما يتضح أن نسبة 65% من أفراد العينة يعيشون في وضعية فقر بينما نسبة30% يعيشون في مستوى اقتصادي متوسط، في حين أن نسبة 5% من أفراد العينة يعيشون في مستوى اقتصادي مرتفع ، من هنا يتبين لنا أن غالبية أفراد العينة هم ذو مستوى اقتصادي متدني. وهذا ما يبينه الرسم البياني الآتي:

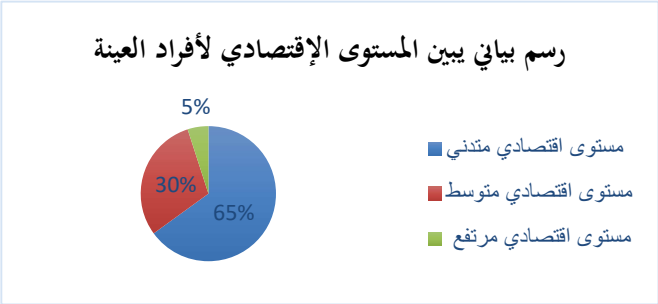

5. منهج البحث

في إطار الإجابة عن إشكالية البحث تم توظيف المنهج الإحصائي الوصفي، والذي يعد من بين أهم المناهج في مثل هكذا دراسات نظرا لاعتماد الاستدلال بالأرقام والجداول الإحصائية، مما يسمح لنا بتحليل–تفكيك الظاهرة إلى أجزاء ووصفها وصفا دقيقا انطلاقا من المعطيات بهدف تحديد العلاقة القائمة بين عناصرها (متغيراتها). إذ يتجلى المتغير المستقل في التمثلات الاجتماعية للمال عند الجانحين، بينما يتمثل المتغير التابع في سلوك السرقة.

6. تحديدات مفاهيمية

6.1 مفهوم التمثل:

إن التمثل في لسان العرب لابن منظور يأتي التمثل من مثل له الشيء أي صوره حتى كأنه ينظر إليه أي تصوره[1]. تلتقي هذه التعاريف اللغوية للتمثل في نقطة محورية ألا وهي استحضار شيء أو مفهوم أو صورة غائبة –عن موضوع معين– إلى الذهن في اللحظة الآنية.

لقد حظي مفهوم التمثل باهتمام بالغ من طرف عدة علماء حيث تعددت المقاربات التي تناولته ليصبح موضوعا قابلا للبحث والدراسة بشكل علمي وموضوعي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وبالتالي أصبح مفهوما قائما بذاته. بدأ مع إميل دوركايم .والذي اشتغل على التمثل الجمعي والتمثل الفردي إذ ميز بينهما، وذلك من خلال الدراسة التي قام بها سنة 1898[2]. وتماشيا مع طرحه السوسيولوجي ركز

"دوركايم" على التمثلات الجمعية بكونها الأكثر حضورا وبروزا داخل النسق المجتمعي ، فهي "إدراك منسجم ومشترك بين أعضاء الجماعة الواحدة ، وهم يتكلمون نفس اللغة التي تمثل أهم أداة للتواصل بينهم، وظيفتها تقوية الروابط والحفاظ عليها بينهم وتهيئهم للتفكير والفعل بكيفية موحدة ، و"تظل التمثلات الجمعية في منأى عن أي تغيير نظرا لارتباطها بالوعي المجتمعي الذي يستمد صلابته ومتانته من صلابة المجتمع ورصانته"[3]

إضافة إلى المنظور السوسيولوجي للتمثل هناك المنظور المعرفي والذي ركز على التمثل الذهني، مع مجموعة من الباحثين من قبيل جون فرنسوا دورتاي الذي حاول تفسير التوجه المعرفي في دراسة التمثلات الذهنية، فأعتبر الصورة الاعتيادية التي نكونها عن الضفدعة كمثال هي مخططات معرفية تختلف من مجتمع إلى أخر[4]. وفي نفس السياق يتساءل مجموعة من العلماء عن الطريقة التي نعتمد أثناء تمثلنا لموضوع معين، هل يتم الاعتماد على الصورة الذهنية أم الاعتماد على الرموز والمفاهيم؟[5]

6.2 مفهوم المال:

يشير المال في اللغة إلى ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان. وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل، لأنها كانت أكثر أموالهم. ويقصد به في هذه الورقة البحثية النقود سواء كانت على شكل عملات نقدية ورقية أو معدنية أو ما يقارب الأوراق المالية مثل الشيكات ووصلات الأمانة.

6.3 الحدث الجانح:

لا بد من الوقوف على هذا المفهوم باعتباره من بين المفاهيم الأساسية والمحورية، حيث تعتبر مسألة تحديد مفهوم الحدث الجانح ضرورية لا غنى عنها، ويرجع الاشتقاق اللغوي للكلمة إلى فعل جنح وفي المنجد جنح جنوحا إليه، مال الجانح للإثم[6]ولغة فالحدث هو الفتى صغير السن ورجل حدث أي الشاب[7].

تعرف "إيفي بنت" الجانح بقولها: " إن الطفل يعتبر جانحا إذ ما استمر في إتيان سلوك اجتماعي متطرف وكان قد اجتاز بداية مرحلة الكمون "[8]. بينما يرى أنصار ورواد التحليل النفسي أن الحدث الجانح إنما هو الذي تسيطر عنده رغبات الهو على ممنوعات الأنا الأعلى، أو بتعبير أخر هو الذي تتغلب عند الدوافع الغريزية والرغبات على القيم والتقاليد الاجتماعية المحيطة.[9]

إذن إن السلوك الجانح من وجهة نظر علم النفس هو تعبير عن اضطراب نفسي يميز سمات شخصية الحدث ويؤدي به إلى سوء التكييف، كما يعتبر من وجهة النظر هاته أن الطفل يعبر عن مشاعره بطريقة يؤدي بها نفسه أو غيره.

الحدث الجانح هو الذي تصدر عنه أفعال منحرفة عن النموذج السليم، كالجرائم، يمثل النموذج السليم حسب "دور كايهم" صورة الحدث متكاملة في نموه النفسي والجسدي والعقلي، بحيث يستطيع التكيف مع جماعته الأسرية والمدرسة وجماعات اللعب وغيرها في حدود القوالب الاجتماعية الأساسية في علاقاته مع الآخرين من جهة، وتصرفاته الذاتية من جهة أخرى[10]. وبذلك يبقى مضمون الانحراف بإمكانه أن يتسع أكثر ليشمل أنماط تبتعد عن النموذج المتوسط بدرجات متفاوتة كثيرا.[11]

6.4 مفهوم الجريمة:

تعرف الجريمة من المنظور السوسيولوجي بأنها كل فعل يتعارض مع ما هو نافع للجماعة، كما يمكن القول على أن الفعل الذي يلحق ضررا بالآخر ماديا كان او نفسيا هو فعل اجرامي ، ولقد أورد المشرع المغربي في القانون أن الجريمة هي "عمل أو امتناع عن عمل مخالف للقانون الجنائي ومعاقب عليه بمقتضاه"[12]، وبالتالي لكي يوصف الفعل بالجريمة لابد أن تكون هناك حالات من الحالات المتمثلة في القيام بعمل أو الامتناع عن القيام به ؛ والمقصود هنا بالعمل هو الفعل الإجرامي المعاقب عليه جنائيا، فالقيام بالعمل من هذا النوع هو ما يعبر عنه بالجريمة

بمفهومها القانوني أما الامتناع عن القيام بفعل؛ فالمقصود بالعمل هنا هو العمل المقترف أو العمل الممتنع[13] عن القيام به، وكذا مخالفة القانون الجنائي بمعنى القيام بأفعال ما أو الامتناع عن القيام بها.[14]ولكي تعتبر جرائم يجب أن تكون مخالفة للقانون الجنائي بكل ما في الكلمة من معنى، وهذا ما يميز الجرائم عن المخالفات، وبالتالي فان الأعمال المخالفة للقانون الجنائي يكون الجزاء فيها يمس بحرية مرتكبها[15].

تعتبر السرقة نوعا من أنواع الجرائم حيث يمكن أن تكون جناية ويمكن أن تكون جنحة حسب الوقت والظروف التي ارتكبت فيها.[16] وهي كما يتم تعريفها قانونيا بأنها كل من اختلس مملوكا لغيره فهو سارق، كما أوضحت المادة 311 من قانون العقوبات.[17]

وقد تضمن هذا التعريف تحديدا لأركان السرقة وان كان لم يشر إلى ركنها المعنوي، وبالتالي إن السرقة هي اختلاس المنقول المملوك للغير بغية التملك؛ والاختلاس هنا هو سلب أو حيازة الشيء بدون رضا مالكه أو حائزه السابق.[18] ويتضح بذلك أن توفر السلب والحيازة والاستيلاء بالإضافة إلى عدم الرضا من طرف مالك الشيء هو دليل على أن الاختلاس يتكون بتوفر الشرطين السالفين الذكر.

ثانيا: العناصر المركزية لتمثل الجانحين للمال:

يخضع التمثل في سيرورة تكونه لعمليتين أساسيتين وهما التوضيع والترسيخ.[19] فمن خلال العملية الأولى تتم عملية بناء الموضوع في شكل جديد وهذه العملية تستند بدورها على مراحل متعددة كالانتقاء وتكوين خطاطة شكلية ثم عملية التطبيع، أي انتقاء المعلومات الخاصة بالتمثل حسب ما يقتضيه نظام المعايير الاجتماعية التي يؤمن بها الفرد أو يخضع لها[20].

فخلال عملية الانتقاء فإن الفرد يعمل على تبني الرموز والمعايير والقيم الملائمة لتمثلاته السابقة حول موضوع ما. فعملية الانتقاء هذه تهدف إلى خلق قاعدة توافق ما بين مكونات ومضامين تمثلات الأفراد وبين أشكال وصيغ بناءها من طرف الفرد. ثم يقوم بتكوين الخطاطة الشكلية فهنا يتم "إنشاء مفاهيم النظرية على شكل فئات" وتأتي مرحلة التطبيع التي يعمل الفرد فقط من خلالها على تأكيد مسايرة تمثلاته لمعايير المجتمع وقيمه.[21]

أما العملية الثانية في تكوين التمثلات فهي الترسيخ الذي يمكن اعتباره مرادف لاستقرار التمثل على حالة مسايرة المعايير الاجتماعية، حيث يصبح التمثل في هذه المرحلة حقيقة مرجعية يستند عليها الفرد في كل أفعاله وسلوكياته.[22]

ويظل المال تجربة مرتبطة في أذهان الكثيرين بالسعادة، ولكن قد تكون التجربة سارة فعلا أو مؤلمة، لما كانت رغباتنا النفسية والاجتماعية متنوعة ومتعددة ولا تنتهي ومرتبطة بالمال، فمن لديه مال يسعى للاستزادة منه و يصاب بهوس إدارته و القلق عليه، ومن ليس لديه مال مهووس بالحصول عليه ولما كان المال لا يكفي كل أفراد المجتمع لتهدئة مطامعهم لذا نشأ الصراع عليه بين الأفراد و وقعت بذلك الجرائم وأطلق الناس على هذا المفهوم (صراع البقاء).[23] ومن هنا يتضح لنا أن المال ليس ظاهرة اقتصادية فقط بل هو أيضا ظاهرة نفسية واجتماعية تعمل على مستوى الفرد والجماعة.

ويرى علماء التحليل النفسي أن للمال أربع تأثيرات على النفس البشرية هي:[24] الإحساس بالأمن والقوة والحب والحرية فالإحساس بالأمن يتجلى من خلال سعي الإنسان للحصول على المال اتقاء لخوفه من الفقر والمرض الفشل والجوع وفي سبيل هذا السعي للمال فإنه يشعر بالأمان عند حصوله عليه ويشعر أيضا بعد الأمان عند فقده [25]. أما الإحساس بالقوة فيتمثل من خلال اعتبار المال قوة قادرة حقا على تحقيق كثير من الطموح والأمنيات ولكن قد يتعاظم هذا الشعور لدى البعض فيظن أن المال هو السبيل الوحيد للقوة وفي هذا المفهوم يتحول هو نفسه إلى مستعبد للمال. في حين يتبين الإحساس بالحب في اعتبار الحب في جوهره هو العطاء لا الأخذ، والإحساس بالحرية ينشأ من خلال مدرك أن الفرد حر لا حدود لحريته ثم بمرور الوقت يدرك أن هذا الفرض خاطئ فكثير من الأمور التي يريد أن يفعلها لا يستطيع ذلك لقيود مجتمعية أو دينية أو نفسية.[26]

لقد تبين من خلال النتائج المتوصل إليها أن المال أساس السعادة وأنه يحقق الرفاهية، هي عناصر مركزية في تمثل الجانحين للمال، حيث أن هذه العناصر هي الأكثر تكرارا عند هؤلاء الجانحين بلغت نسبتهم 72%، أما من اعتبروا المال ليس أساس السعادة فقد وصلت نسبتهم28%.

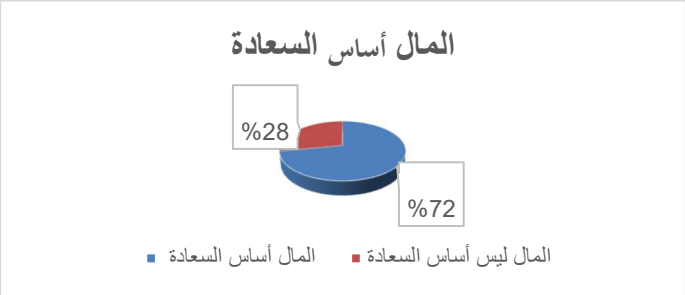

اهتمت النظرية السلوكية بالمال من حيث الكيفية التي يصبح بها المال مدعما شرطيا وموضوعا ذا قيمة ومعنى. ويرى سكنر أن المال يمكن أن يفسر في ضوء النظرية السلوكية وفقا لمفهوم الاشتراط الإجرائي باعتبار المال وسيلة من وسائل التعميم والتدعيم فمن الممكن أن يوجه الفرد إراديا نحو فعل معين يساعده على الوصول إلى الهدف.[27]

طرحت (لي) وزملاؤها بعض الأفكار والمفاهيم عن المال ووظيفته النفسية والاجتماعية وكيف أن العوامل الثقافية تؤدى دورا كبيرا في تحديد الاتجاهات النفسية نحو المال.[28] كما بينت أيضا لماذا يفضل بعض الناس بعض أنواع المال على أنواع أخرى، وكيف أن المال ليس مجرد أداة اقتصادية أو معيارا للقيمة المادية بقدر ما هو أيضا ذو قيمة انفعالية نفسية واجتماعية لقد جمعت (لي) كل هذه الأفكار والأطروحات في ما يمكن أن نطلق عليه مجازا (النظرية النفسية للمال).[29] وفيما يتعلق بعنصر اعتبار المال رمز للحرية، يتبين أن نسبة 69% أكدوا بأن المال هو رمز للحرية على عكس نسبة 31 % التي تعتبر المال ليس رمزا للحرية.

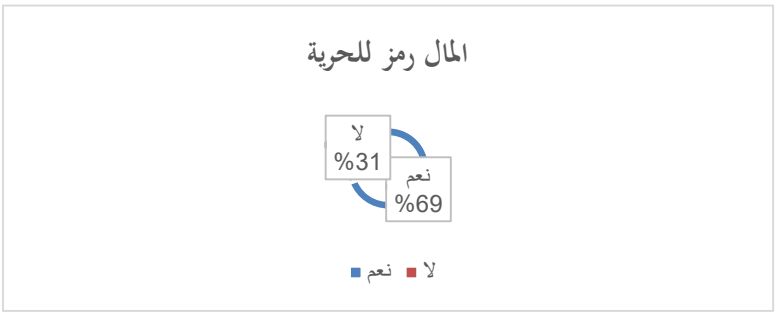

يقود هذا التحليل إلى القول بأن طبيعة وتصورات وتمثلات الجانحين عن المال تتميز بكونها عبارة عن بنية عناصره المركزية هي المال أساس السعادة والمتعة وأنه رمز للحرية. واعتبرت عناصر مركزية نظرا لكونها العناصر التي تتكرر عند جل المبحوثين. فالمبحوثين في نظرتهم إلى المال تغلب عليهم تمثلات متضمنة لأفكار مبنية مجتمعيا وجماعيا، حيث المحيط والبيئة التي يعيش فيها هؤلاء الأحداث الجانحين يلعب دورا كبيرا في تكونها وتشكلها بمعنى أنها تتشكل انطلاقا من السياق السوسيوثقافي.

ثالثا: توجيه تمثلات الجانحين لسلوكهم

رفض موسكوفيسي التفريق الذي قام به دوركايم بين ما هو فردي (التمثل الفردي)، وما هو جمعي (التمثل الجمعي) في دراساته، خصوصا الدراسة التي تناول فيها تمثلات الأفراد الفرنسيين حول التحليل النفسي سنة 1961[30] حيث اعتبر "التمثل نسق من القيم والمفاهيم والسلوكات المرتبطة بسمات ومواضيع يحدد معالمها الوسط الاجتماعي. وتشكل فوق كل هذا أداة لتوجيه إدراك المواقف وصياغة الأجوبة على التساؤلات المطروحة "[31]وهي أيضا "وسائط بين الشخص والوضعية المتواجد فيها بحيث تمكنه –بطبيعة الحال– من إدراك واختبار المعلومات التي تثير فضوله والعمل على تنظيمها وإعطائها معنى معين يخول له تحديد اتجاه نشاطه[32]".

إن المعنى الذي يعطيه موسكوفيسي للتمثل يرتكز على تحديد مكونات هذا الأخير والأدوار التي يقوم بها بالنسبة للأفراد في إطار عملية تفاعلهم المستمر في وسطهم الاجتماعي، فالتمثل دائما يرتبط بموضوع ما ويقدم له تفسيرا معينا بحسب المعلومات والتأثيرات الاجتماعية حول هذا الموضوع وأيضا بحسب طريقة بناء وعمل الأفراد لتمثلهم، وهذا ما يجعل التمثل يصبح في أساسه نسق من القيم والمفاهيم والسلوكات، ويلعب دورا مهما في عملية توجيه سلوك الأفراد وإدراك المواقف التي يتواجدون فيها، الشيء الذي يمكنهم من التوفر على قاعدة أساسية للفعل والتصرف وذلك لكون التمثل يلعب دور الوساطة بين الفرد وبين الموقف الذي يوجد فيه خلال لحظة الفعل بما أنه ذو أصل اجتماعي[33].

في هذا السياق كان من الضروري البحث في مدى تأثير تمثلات الأحداث الجانحين عن المال في سلوكهم مما يدفعهم إلى ممارسة أفعال إجرامية كالسرقة، حيث أظهرت النتائج أن نسبة مهمة من المبحوثين بلغت69% أكدت هذا التأثر خاصة إذا ارتبطت هذه التصورات بالمستوى الاقتصادي المتدني للعائلة.

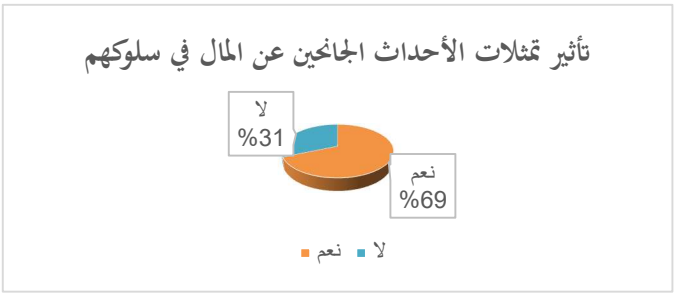

كما تبين البيانات أن نسبة 57 % يعتبرون أن رغبتهم في تحقيق حاجاتهم تجعلهم يتوجهون إلى السرقة. وهذا دليل على أن الوضعية العائلية والوسط الاقتصادي الذي يعيش فيه الفرد له دوره في تمثلات الجانحين. فالذين ينتمون إلى وسط فقير لديهم تصورات توجه سلوكهم للقيام بعدة أفعال مخالفة لما هو اجتماعي وقانوني. غير أن هذه التمثلات لا تختلف بين الذكور والإناث ولها نفس التأثير على السلوك سواء عند الذكور أو الإناث.

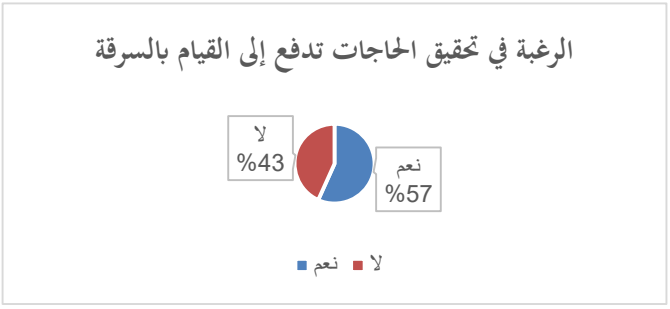

إذن إن التمثلات الاجتماعية هي بمثابة شكل من أشكال المعرفة العامية والمخصصة لتنظيم التصرفات وتوجيه التواصل داخل سياق اجتماعي معين، تتقاسمه فيه طائفة من الأفراد، فالذين يمتلكون نفس التصورات يكون التواصل بينهم بشكل أكثر بساطة وسهولة. والقيام بسلوكات محددة انطلاقا من هذه التمثلات، حيث إن الرغبة في الحصول على مال وفير لتحقيق المتعة والرفاهية والسعادة والحرية هي كلها آراء توجه سلوك هؤلاء الأحداث الجانحين إلى البحث عن المال مما يجعلهم يقومون بالسرقة كسلوك لا اجتماعي يعتبر انحرافا ومخالف للقانون من أجل تلبية رغباتهم واحتياجاتهم. لذلك قد يسعى بعض الأفراد إلى الحصول على المال بأقل جهد وبأية وسيلة قد تصل القيام بالسرقة وهذا ما اوضحته المعطيات الميدانية إذ يكون الهدف هو تحقيق المتعة.

قد يعلو شأن المال حتى يصبح هدفا، وهذا يستتبع بالضرورة الصراع بين الأفراد في سبيل الوصول إلى هذه الغاية فتفسد بذلك العلاقات الاجتماعية إذ يعتقد الفرد أن الوصول لغاية المال لن يتأتى إلا على حساب الآخرين. فتظهر مشاعر مرضية من الأنانية وينجرف المجتمع في اتجاه النصب والاحتيال والاختلاس وكلها قائمة على مبدأ أقل الجهد.[34]

ولقد قدم ستيفان كوسلين الذي اشتهر في عمله بتقنية تصوير الدماغ موقف يرى فيه أن أغلب التمثلات عبارة عن صور داخلية ذهنية ولإثبات صحة فرضيته قام بعدة تجارب مخبرية حيت طلب من شخص أن يتمثل جزيرة وينتقل ذهنيا من نقطة إلى أخرى ومنه التنقل مسافة أطول من الأولى واستنتج أن الأشياء تحدث في كما لو كان الشخص يقرأ خريطة ذهنية[35] وبالتالي يستغرق تفكيره المدة الزمنية المحددة للمسار لأن زمن رد الفعل الذي يستغرقه الفرد في قطع المسافة القصيرة أقل من زمن رد الفعل في المسافة الطويلة. إذن من خلال المقاربة المعرفية للتمثل، يتضح لنا أن التمثل عبارة عن نشاط ذهني واشتغال للنسق المعرفي الإنساني.[36] وتفيد تكوين تصور وفهم خاص عن موضوع معين، قد يكون عبارة عن أشياء أو أشخاص أو أحداث أو عبارة عن مرض معين.

تبعا لكل ما سبق ذكره فهناك مقاربة نفسية اجتماعية تولي كذلك الاهتمام لموضوع التمثل والتي تبقى مادة اشتغالنا في هذا البحث، وقد اهتمت الدراسات النفسية الاجتماعية بمقاربة مفهوم التمثل الاجتماعي الذي يعتبر بمثابة شكل من أشكال المعرفة العامية[37]، والمخصصة لتنظيم التصرفات وتوجيه التواصل داخل سياق اجتماعي معين، حيث يتم بناءه جماعيا في المجتمع.[38] فلا يمكن آن نتحدث عن التمثل الاجتماعي دون الحديث عن الجماعة ذلك لأنه يتم تقاسمه بين مجموعة من الأفراد، حيث يتميز بكونه متضمن لعملية إعادة إنتاج لخصائص موضوع معين والذي يتم على مستوى عيني باعتباره نشاط ذهني[39].

إن العديد من الدارسين المهتمين بدراسة الجريمة يحاولون الربط بين العوامل الاقتصادية كالفقر و انخفاض الدخل وقد برزت عدة دراسات اجتماعية مدعمة لهذا الطرح السالف الذكر، لقد عزى العالم الهولندي "بونجر Bonger" الأفعال الإجرامية وخاصة تلك المتعلقة بالممتلكات إلى الفقر لأبناء الطبقة في ظل التنافس الرأسمالي، والفقر ينبع عادة من المنافسة الاقتصادية غير الناجحة، ويقود إلى التفكك الشخصي وهو من لوازم المجتمع الرأسمالي .[40]

ومن هنا يصبح علاج الجريمة وفقا لهذه النظرية من خلال إعادة تنظيم وسائل الإنتاج وقيام مجتمع لا طبقي؛ أي خالي من الطبقات ويقول "بونجر" أن النزعة الأنانية في الإنسان لا تؤدي بذاتها إلى جعله مجرما؛ وبسبب الظروف البيئية الحالية أصبح الإنسان أناني جدا أو أكثر قدرة على ارتكاب الجريمة.[41]

يقوم النظام الاقتصادي الحالي على أساس التبادل، والتبادل يؤدي إلى تنمية صفة الأنانية والمجتمع الذي ينبني على أساس التبادل يعزل الأفراد عن بعضهم البعض بواسطة أضعاف الروابط بينهم، فكل فريق من فرق التبادل يفكر في تحقيق منافعه ولو كانت على حساب الفريق الأخر.[42]

خلاصة:

خلاصة القول يتضح مما سبق أن العناصر المركزية لتمثل المال عند الجانحين هي تمثل يكون فيه المال أساس السعادة والرفاهية وهو رمز للحرية ووسيلة ضرورية للعيش لأنها الأكثر تكرارا بين الجانحين كما تبين لنا أن هذه التمثلات التي يحملونها هي التي توجه سلوكهم نحو الجريمة والمتمثلة في السرقة، وخاصة عندما ترتبط هذه التمثلات بالمستوى الاقتصادي المتدني للعائلة، فالتمثلات التي لدى الجانحين مكونة اجتماعيا وجماعيا من طرف المحيط الذي يعيشون فيه، وبالتالي فإن المحيط له دور في تشكيل هذه التمثلات، كما تجذر الإشارة إلى أنها لا تختلف بين الذكور والإناث لأنها نفس التمثلات ونفس العناصر المركزية .حيث عرف لمجتمع تفشيا وانتشارا كبيرا للجريمة، لذلك كان من الضروري البحث في جميع أسبابها للحد منها وباعتبار التمثل الاجتماعي بمثابة معرفة عامية وموجه لسلوك الأفراد.

يظل إذن التمثل موضوعا محوريا بامتياز، يحتم أن تشمل الدراسات في هذا الصدد أوساط وسياقات مختلفة من المجتمع، باختلاف طبيعتها ونوعيتها، سواء المتعلقة بالسلوكات المقبولة أو الغير مقبولة اجتماعيا وقانونيا.

الهوامش:

[1] إبن منظور: لسان العرب دار صادرت بيروت المجلد 11ص 613

[2] Jean maisonneve. Que sais-je ? Press universitaires de France Dix-huitième édition182e mille. P107.

[3] أحمين عبد الرحيم تمثل الشباب للقيم الدينية وعلاقته بالتوسط الاجتماعي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ص 30

[4] ليلى بن جلون: محاضرات في مجزوءة التمثلات الاجتماعية، المقاربات والنظريات، شعبة علم النفس، كلية الآداب العلوم الإنسانية، 2014/2013

[5] ليلى بن جلون مرجع سابق

[6] معلومات لويس المنجد ص100

[7] ابن منظور لسان العرب، الجزء الثاني، دار صادر بيروت ص 132

[8] أبو أسعد كمال جندي انحراف الأحداث دار المعارف القاهرة 1971 ص44

[9] أبو أسعد كمال جندي مرجع سابق، ص51

[10] خفاجي حسن: دراسات في علم الاجتماع الجنائي، الطبعة الأولى، مطبعة المدينة جدة،1977

[11] الكتابي إدريس: ظاهرة الاحداث الطبعة الأولى مطبعة التومي الرباط 1976 ص 43

[12] قانون المسطرة الجنائية المغربية

[13] كتاب علم التحقيق الجنائي العلمي محمل من الانترنيت على الرابط www.4shared.com

[14] مرجع سابق.

[15] نشير إلى أن هذا تم استخلاصه مما جاء في المادة 431 من القانون الجنائي.

[16] سيد أبو اليزيد المحامي بمحكمة النقض، جرائم السرقة شرح- دفوع- مذكرات في ضوء أحداث أحكام النقض ط حديثة 2008 نشر وتوزيع أحمد حيدر ص 10

[17] المادة 311 من قانون العقوبات.

[18] سيد أبو زيد مرجع سابق ص 11

[19] Vanessa v. le travail une représentation social en transformation. Strasbourg adition congrès international aref (actualité de la recherch en édication et en formation. 2007 p 2 sur web www.congresintaref.org

20 Ibid.p3

[21] Moscovici serge la psychologie sociale. France ed quadirage/puf 2003 p 362

[22] Ibdi.p 363

[23] Wwww.4shared.com

[24] www. La psychanalyse.com

[25] مرجع سابق

[26] أكرم زيدان مرجع سابق ص 118

[27] موسوعة علم النفس.

[28] أكرم زيدان مرجع سابق ص 120

[29] أكرم زيدان مرجع سابق ص 121

[30] بلحاج عبد الكريم: كتاب التفسير الاجتماعي لسببية السلوك مدخل الى المعرفة الإجتماعية 2010، الرباط . ص28

[31] Moscovici serge La Psychanalyse son image son public Fance. Ed vendome. 1961 puf P301

[32] Ibid P 302

[33] Moscovici serge. la psychanalyse son image son public.france. ed vendome 1961 puf.p 302

[34] أكرم زيدان مرجع سابق ص 21

[35] ليلى بن جلون مرجع سابق

[36] بلحاج عبد الكريم الفصل السادس من كتاب المدخل إلى علم النفس المعرفي، ص 103

[37] بلحاج عبد الكريم: كتاب التفسير الاجتماعي لسببية السلوك مدخل الى المعرفة الإجتماعية،2010، ص 23

[38] بلحاج عبد الكريم مرجع سابق ص 23

[39] بلحاج عبد الكريم، مرجع سابق ص24

[40] عبد الرحمان العيسوي: سيكولوجسة الجريمة والانحراف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص 70

[41] عبد الرحمان العيسوي مرجع سابق ص71

[42] مرجع سابق ص 71